٦٤

مع أنسام رمضان

* ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾

[سورة البقرة: الآيات: ١٨٣ – ١٨٥]

* ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴿٢﴾ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾

[سورة القدر]

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى ﷺ متكئ بين المسلمين، يظهر على مدخل المسجد أعرابى أخذ ينيخ جمله، ثم عقله.. ثم دخل إلى المسجد يرنو ببصره مستطلعًا.. فيه بداوة، وعليه وعثاء سفر.. يبدو جلْدًا أشعر ذا غديرتين (ذؤابتين من الشعر)..».

الأعرابى : (متطلعًا إلى الناس) أيكم محمد؟

أحد المسلمين : (وهو يشير إلى النبى) هذا الرجل الأبيض المتكئ..

الأعرابى : (فى بداوة) ابن عبد المطلب؟!

النبى : (فى سماحة) قد أجبتك..

الأعرابى : (متجهًا إلى النبى) إنى سائلك فمشدد عليك فلا تجد علىَّ فى نفسك.

النبى : سل عما بدا لك.

الأعرابى : أسألك بربك ورب من كان قَبْلَك ورب من هو كائن بعدك.. آللّه أرسلك إلى الناس كلهم؟

النبى : اللهم نعم.

الأعرابى : أنشدك باللّه، آللّه أمرك أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئًا وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه؟

النبى : اللهم نعم.

الأعرابى : أنشدك باللّه، آللّه أمرك أن نصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة؟

النبى : اللهم نعم.

الأعرابى : أنشدك باللّه، آللّه أمرك أن نصوم شهرًا من السنة؟

النبى : اللهم نعم.

الأعرابى : أنشدك بالله، آلله أمرك أن نأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فنقسمها على فقرائنا؟

النبى : اللهم نعم.

الأعرابى : آمنت بما جئت به. وأنا رسول من ورائى من قومى.. أنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر.. أشهد ألا إله إلا الله وأنك رسول الله..

«المسلمون يكبرون.. بينما ينصرف ضمام إلى بعيره، يحله ويمتطيه ويقيمه وينصرف من حيث أتى والمسجد غاص بالتكبيرات..».

النبى : (لأصحابه) إن يصدق ذو العقيصتين (الضفيرتين من الشعر) يدخل الجنة..

* * *

«بعد يوم.. مضارب بنى سعد بن بكر.. رهط منهم بمجلسهم يتسامرون، يلحق بهم ضمام، ما إن ينيخ راحلته حتى يبادرهم..».

ضمام بن ثعلبة : (لقومه) بئست اللات والعزى، وبئست مناة، وبئست هبل!!

بعضهم : (ناهرًا) مَهْ يا ضمام! اتق البرص. اتق الجذام. اتق الجنون!

ضمام : (لائمًا) ويلكم! إنها والله لا تضر شيئًا ولا تنفعه، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتابًا! استنقذكم به مما كنتم فيه. وإنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله.. وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه..

* * *

«ليلة أول رمضان سنة ٤هـ.. وقد خرج الرسول ﷺ فى صحابته لاستطلاع هلال الشهر المبارك.. يتلبث عليه السلام والصحابة على قمة إحدى الربى بظاهر المدينة حتى يظهر هلال رمضان.. يستقبله الصحابة بالحمد والشكر والتكبيرات».

النبى : (داعيًا) الله أكبر.. الحمد لله، لا قوة إلا بالله!.. اللهم إنى أسألك خير هذا الشهر، وأعوذ بك من شر القدر، ومن شر الحشر..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين..»

النبى : (ضارعًا) هلال خير ورشد.. آمنت بالذى خلقك فعدلك.. اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله.. اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر، وأعوذ بك من شره..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين.. يكرون عائدين إلى المدينة، يستقبلهم الناس بالأفراح والمسرات بحلول الشهر الكريم..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، وقد حلت أنسام شهر رمضان المبارك.. شهر الصوم والمواساة.. النبى ﷺ فى صحابته من المهاجرين والأنصار بأول أيام الصوم – يحادثهم فى فريضة وبركات الشهر الكريم».

النبى : (يتلو) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآيات: ١٨٣ - ١٨٥]

(يستأنف) لو يعلم الناس ما فى شهر رمضان من الخير لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها، ولو أذن الله للسموات والأرض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة..

المسلمون : لبينا.. وصمنا إلى الله يا رسول الله..

النبى : رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش!

المسلمون : كيف يا رسول الله؟

النبى : إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولايصخب، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم.. (يستأنف) من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه.

المسلمون : فما الذى يحل لنا يا رسول الله؟

النبى : (يتلو) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة البقرة: الآيتان: ١٨٧ - ١٨٨]

المسلمون : زدنا يا رسول الله..

النبى : استكثروا فى رمضان من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما.. فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غناء عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار..»

المسلمون : قد شهدنا واستغفرنا، وسألناه سبحانه وتعوذنا به من النار..

النبى : من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه..

«تتصاعد التكبيرات، وتتغشى المسلمين نفحات الشهر الكريم..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى عليه السلام فى صحابته وعامة المسلمين.. أمامه عليه السلام رجل من الأزد يدعى: ابن اللتبية أو اللتيبية.. عائد من جمع صدقات بنى سُليم.. يؤدى ما تصدقت به القبيلة.. يلحظ أحد الصحابة أنه قد احتجز شيئًا..».

الصحابى : (مشيرًا) ما هذا؟

ابن اللتبية : هذا أهدى إلىّ.. (يشير إلى ما قدمه) هذا لكم، ولكن هذا أهدى إلىّ..

«النبى – عليه السلام – يتغير وجهه.. ينظر إلى ابن اللتبية معاتبًا، يرتقى عليه السلام المنبر.. يقول للمسلمين..».

النبى : (عاتبًا) ما بال العامل نبعثه فيجىء فيقول: هذا لكم، وهذا أهدى إلىّ!!

«ابن اللتبية واجم ينظر مبهوتًا..!!»

النبى : (يستأنف) أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه، فينظر يُهدى إليه أم لا؟! والذى نفس محمد بيده، لا يأتى أحد منكم منها بشىء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيرًا له رُغَاء (صوت البعير) – أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعر (تصيح).. والله لا يأخذ أحد منكم من هذا المال شيئًا بغير حقه إلا لقى الله يحمله يوم القيامة.. (يرفع يديه إلى السماء) اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟

«ابن اللتبية واجم كأن على رأسه الطير..»

ابن اللتبية : (يتمتم لنفسه آسيًا) والله ما علمت ولا قصدت إغضاب الله ورسوله!

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى ﷺ فى صحابته وعامة المسلمين.. يوزع عليه السلام بعض الأعطيات.. وسط الجمع أعرابى من الجفاة.. يشتط فى حديثه إلى النبى، ويغلظ فى القول.. الصحابة يتململون ضيقًا ويهم بعضهم بالرجل.. ولكن النبى يكفهم عنه، ويرفق بالرجل، ويجزل له العطاء..».

النبى : (للأعرابى) يا أخا العشيرة.. أأحسنت إليك؟

الأعرابى : (فى جفاء وغلظة) لا.. ولا أجملت..

«يهم بعض الصحابة يريدون تأديب الرجل، ولكن النبى يكفهم عنه..».

النبى : (للصحابة) خلوه.. كفوا عنه..

«ينصرف الرجل تشيعه همهمات غضب واستنكار الصحابة.. النبى - عليه السلام - يغادر إلى داره..».

أحد المسلمين : (لجاره) مدّ له النبى كثيرًا من صبره وحلمه!

آخر : كيف يرد على رسول الله هذا الرد الغليظ؟!

* * *

«على مسافة أمتار من المسجد النبوى.. أحد المسلمين فى أثر الرجل.. أرسله النبى - عليه السلام - لاستدعائه».

المسلم : (مناديًا) يا أخا العشيرة.. يا أخا العشيرة..

الأعرابى : (فى جفاء) نعم..

المسلم : إن رسول الله يدعوك إليه ببيته..

* * *

«فى بيت النبى.. يدخل إليه الأعرابى.. يتبسط معه النبى - عليه السلام - ثم يزيد فى عطائه، ويسأله..».

النبى : أأحسنت إليك؟

الأعرابى : (راضيًا) نعم يا رسول الله.. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا..

النبى : (ناصحًا) إنك قلت ما قلت آنفًا وفى نفس أصحابى من ذلك شىء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك..

الأعرابى : نعم.. أَفْعَلُ يا رسول اللهِ..

* * *

«بالمسجد..النبى - عليه السلام - وسط أصحابه.. الأعرابى يجلس مطرقًا..».

النبى : (للصحابة) إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى.. (سائلاً الأعرابى) أكذلك؟!

الأعرابى : (فى رضا) نعم يا رسول الله.. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا..

النبى : (للصحابة) مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعهاالناس فلم يزيدوها إلا نفورًا، فناداهم صاحبها

فقال لهم: خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذ من حشاش الأرض فردها حتى هدأت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار...

* * *

«المسجد النبوى فى بداية العشر الأواخر من رمضان سنة ٤هـ.. النبى ﷺ فى صحابته.. يتلو عليهم القرآن، ويبين لهم نفحات شهر القرآن..».

النبى : (يتلو) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر].. (يستأنف) من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه..

أحد المسلمين : كيف نعرفها يا رسول الله؟

النبى : التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان.. إذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كوكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى..

أحد المسلمين : فما نقول فيها يا رسول الله؟

النبى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى.

مسلم : وصدقة الفطر يا رسول الله؟

النبى : طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهى – زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقة.

* * *

«المسجد النبوى، وقد آذن رمضان بالانتهاء، وهلت أنسام الفطر.. النبى فى صحابته يحادثهم ويعظهم ويبين لهم..».

النبى : «إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطريق فنادوا: اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمركم بقيام الليل فقمتم، وأمركم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم، فاقبضوا جوائزكم.. فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة: يوم البراءة من الذنوب، والطهارة من العيوب، والنقاء من الأدناس والكروب»

* * *

«المدينة فى شوال سنة ٤ هـ وقد انصرمت الأيام والأسابيع والشهور على وفاة أبى سلمة عبدالله بن عبد الأسد بن هلال المخزومى.. صاحب الهجرتين، بطل بدر وأحد، وقائد سرية جبل قطن، وابن عمة المصطفى عليه السلام، وأخوه فى الرضاعة.. قد ترك لزوجته أم سلمة عيالا صغارًا، والزمن يمضى على ترملها بلا عائل ولا معين!.. يتقدم إليها أبو بكر خاطبًا، فتعتذر فى رفق.. يتلوه عمر بن الخطاب، فيلقى ذات الاعتذار.. ترى هل هى تتحرج أن تقبل أحدًا للزواج بعد رحيل ابن عمة صفى السماء وأخيه فى الرضاع، الحبيب الأثير لديه؟! إن النبى عليه السلام ليرقب ما يجرى بفيض رحمته

وقرابته ووده.. إنه لمسئول عن هذه الأسرة التى تركها له صاحبه الأثير ابن العمة برة بنت عبد المطلب، وأخو الرضاع.. ها هى الأرملة صاحبة العيال وقد جاوزت سن الشباب، كيف السبيل إلى برها وهى تتحرج من الزواج بعد ابن عمة النبى عليه السلام!!

«دار أم سلمة، يدخل عليها ابن أخيها موفدًا من قبل الرحمة المهداة.. يقول لها..»

ابن أخيها : إن رسول الله يذكرك؟

أم سلمة : إننى مسنة.. غَيْرى.. ذات عيال!! أو أتقدم على رسول الله بعيالى؟!!

ابن أخيها : إن رسول الله يقول لك إنه أكبر منك سنًّا، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك، وأما العيال فإلى الله ورسوله..

* * *

«فى اليوم التالى.. دار أم سلمة، تستعد فى رضا لاستقبال الرحمة المهداة وعقد القران.. معها ابنها وابن أخيها وبعض ذوى قرباها.. النبى عليه السلام فى نفر بسيط من صحابته.. أم سلمة تنادى ابنها..».

أم سلمة : يا سلمة قم فزوج رسول الله..

النبى : أما إنى لا أنقصك مما أُعطيت أختك.. رحيين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف.

أم سلمة : (فى حياء) رضيت بما ترضاه يا رسول الله..

«يتقدم سلمة، فيزوج الرحمة المهداة من أم سلمة.. ترتسم البسمات، وتتأهب أم سلمة للانتقال بعيالها إلى بيت الرسول محفوفة بالتبريكات والرحمات..».

* * *

«المسجد النبوى.. الصلاة قائمة، المسلمون مصطفون فى جلال، يؤمهم المصطفى ﷺ يقطع السكون عطسة أفلتت من أحد المصلين رغمًا عنه..».

معاوية بن الحكم : (مندفعًا) يرحمك الله!

«المصلون يضربون على أفخاذهم تنبيهًا له واستياءً مما فعل.. معاوية بن الحكم يركبه الخجل والارتباك.. وإنه ليحس بخطأ اندفاعه، ويتمنى لو يستطيع أن يسترد العبارة التى أفلتت منه عَفْوًا أثناء صلاته.. يزداد همه وهو يلمح نظرات استنكار المصلين بعد أن فرغوا من الصلاة.. إنهم يحدقون إليه فى استياء لا يستطيعون إخفاءه..».

معاوية بن الحكم : (مخاطبًا نفسه فى أسى) واثكل أماه.. ما لهم ينظرون إلىّ هذه النظرات؟!!

* * *

«النبى ﷺ وقد فرغ من صلاته وتشهده ودعائه.. يلتفت باحثًا عن معاوية بن الحكم.. يناديه..».

النبى : (مترفقًا) إن صلاتك لا يصلح فيها شيء من كلام الناس..

معاوية بن الحكم : بأبى أنت وأمى يا رسول الله.. ما قصدت، هى كلمة أفلتت منى عفوًا!!

النبى : (مفرخًا روعه فى إسماح) إنما هى التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن..

«ينصرف الرجل قرير العين مطمئن البال.. يستقبله جيرانه فى الصلاة.. يتشوقون إلى معرفة ما قاله له رسول الله..».

معاوية بن الحكم : (لأصحابه) بأبى هو وأمى.. ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه.. والله ما زجرنى، ولا سبنى ولا نهرنى، ولكن قال لى مترفقًا: إن صلاتك لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هى التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن!

* * *

«بيت النبى عليه السلام بالمدينة.. يدخل ﷺ إلى حجرة عائشة، فيلمح على فراشه حشوة من صوف.. ينظر عليه السلام إلى عائشة مستفسرًا..».

النبى : ما هذا يا عائشة؟!

عائشة : كانت عندى امرأة من الأنصار، رأت على فراشك عباءة خشنة، فلما انطلقت إلى بيتها - بعثت إلىّ بهذا الفراش..

النبى : (فى اقتضاب) رديه..

عائشة : فلم أرده؟!

النبى : رديه يا عائشة.

عائشة : قد أعجبنى أن يكون فى بيتى..

النبى : رديه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله معى الجبال ذهبًا وفضة.. (يستأنف) يا عائشة ما لى وللدنيا، إنما أنا والدنيا بمنزلة رجل نزل تحت شجرة فى ظلها، حتى إذا فاء الفيء ارتحل، فلم يرجع إليها أبدًا!!

* * *

«بيت النبى ﷺ بالمدينة.. على حاله الذى عليه.. لا متاع ولا أثاث ولا شيء مما يرتاح عليه الناس.. يدخل عمر بن الخطاب فيلفى الرحمة المهداة متكئًا على رُمَال حصير خشن.. يلمح أثر الحصير فى جنب النبى من فرجة بين جنبى ثوبه عليه السلام - يجول عمر ببصره فى الحجرة فلا يرى شيئًا يرد البصر إلا أُهُب ثلاثة (جلود فى دباغها عطنة منتنة)، وصُبْرة من شعير.. عمر تغالبه عبراته فتنهمر سيالة غزيرة من عينيه!».

النبى : ما لك يا عمر؟!

عمر بن الخطاب : يا رسول الله، أنت صفوة الله فى خلقه!

النبى : فما يبكيك يا عمر؟!!

عمر : يا رسول الله، يبكينى ما أراك فيه، وكسرى وقيصر فيما هما فيه؟!!

النبى : (يجلس وقد احمر وجهه) أفى شك أنت يا ابن الخطاب؟!

عمر : أبكى لكونى أعلم أنك رسول الله، أكرم على الله من كسرى وقيصر، وهما يعيشان فيما يعيشان فيه!! وأنت رسول الله بالمكان الذى أرى!!

النبى : (حليمًا) أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا – أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟

عمر : بلى يا رسول الله.

النبى : إنه لكذلك يا عمر، فاحمد الله عز وجل.. (يستأنف) يا عمر لو شاء الله عز وجل أن يسير الجبال الراسيات معى ذهبًا لسارت.

❊ ❊ ❊

«النبى – عليه السلام – ببيته لدى زوجته أم سلمة.. تقبل أم أبيها فاطمة الزهراء ببُرمة لها (قدر من الحجارة) صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق.. تضعها بين يدى النبى المصطفى عليه السلام..».

النبى : (مستطلعًا) وأين ابن عمك وابناك؟

فاطمة : فى البيت يا أبتاه.

النبى : ادعيهم..

«فاطمة ترجع فتحضر الحسن وتحمل الحسين.. وتنادى على زوجها على بن أبى طالب..».

فاطمة : (لعلىّ) أجب رسول الله أنت وابناك..

«يدخل علىّ وفاطمة ومعهما الحسن والحسين إلى الرحمة المهداة.. ما إن يراهم حتى يمد يده إلى كساء كان على المنامة.. يمده عليه السلام ويبسطه ويجلسهم عليه.. يأخذ عليه السلام بأطراف الكساء الأربعة بشماله ويقيمه فوق رؤوسهم.. يومئ بيمينه إلى السماء داعيًا..».

النبى : (داعيًا) اللهم هؤلاء أهل بيتى، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا!

«بجانب الحجرة أم سلمة، وزينب ابنتها من زوجها الراحل.. تغالبها العبرات.. تلحظها عين الرحمة المهداة..».

النبى : (لأم سلمة - حانيًا) ما يبكيك؟

أم سلمة : يا رسول الله حصصتهم، وتركتنى وابنتى!

النبى : (فى حنو) إنك وابنتك من أهل البيت.

«النبى ﷺ يتغشاه الوحى.. لا يحسه سواه..»

جبريل : (يوحى لمحمد) ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: الآية: ٣٣]

(يرتفع الوحى)

«النبى - عليه السلام - يتلو ما تنزل عليه من القرآن.. علىّ وفاطمة وأم سلمة يسمعون ما تنزل وقد تغشتهم المسرة..».

أم سلمة : (مستطلعة) يا رسول الله ألست من أهل البيت؟

النبى : إنك إلى خير، أنت من أزواج النبى.. إنك إلى خير..

* * *

«المدينة، تموج بأنباء نفر أسلموا بمكة وخرجوا للحاق بالمسلمين فلاحقتهم قريش وقاتلتهم، قتل بعضهم، ونجا البعض إلى المدينة يروون ما كان..

كانت كتب المسلمين قد أتتهم أن الله تعالى لن يقبل أن يسلموا ويبقوا بمكة ليجبروا كما أجبر غيرهم سلفًا على الخروج مع قريش لقتال المسلمين ببدر.. أتتهم الكتب تروى لهم ما كان قد تنزل من القرآن يقول لسابقيهم: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها»؟! أزمعوا أمرهم وخرجوا هجرة إلى الله ورسوله.. بيد أن المشركين أتبعوهم وآذوهم وقاتلوهم.. منهم من قضى نحبه، ومنهم من نجا إلى المدينة.. تختلط فى قلوب المسلمين الأحزان بالمسرات.. يفرحون بمن نجوا فأتوْهم، ويأسون على من طالتهم قريش من الراحلين».

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتهجد ويناجى ربه.. يوافيه جبريل عليه السلام، فيوحى إليه..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ [سورة العنكبوت: الآيات: ١ – ٧]

(يرتفع الوحى)

* * *